

## المقالة الثانية: إشكالية التنمية المستدامة: غزو أم فتح الصحراء:

إ.د أحمد يحيى راشد<sup>1</sup>

مع توجه الدولة لتبني مقترح العالم الفاضل فاروق الباز لممر التنمية والتعمير نجد أن التعامل مع الصحراء لا بد أن يأخذ مدخلا مختلفا عن المعتاد. وتعتبر من المفارقات الملحوظة أن نسبة عدد سكان الصحراء المصرية إلى مجموع عدد سكان مصر تكاد تكون نفس نسبة مساحة وادي النيل إلى مساحة مصر، مما حدا إلى التفكير الدائم نحو غزو الصحراء أو اختراقها. وقد عبر جمال حمدان في كتاب شخصية مصر "دراسة عبقرية المكان" عن غزو الصحراء بأن قال:

"ليس سهلا، مع ذلك غزو الصحراء، لأنه ليس نزهة جغرافية أو حضارية، وإنما هو صراع كفاحي ضد الطبيعة ومعركة حقيقية ضد العنصر. والعملية مخاطرة ريادية قد تحتل الفشل والنكسات قدر ما تحمل من النجاحات. ومن الأسف أن المحاولات الثلاث الأولى لاستصلاح أرض الصحراء وتعميرها في العقدين أو الثلاثة الأخيرة (كان يعني خمسينيات وستينيات وسبعينات القرن الماضي)، سواء على تخوم الوادي نفسه أو في واحات قلبها، وهي مشروع مديرية التحرير ووادي النطرون والوادي الجديد، تعثرت بدرجات متفاوتة وانتظمت كثيرا من الخسائر ولم تحقق تقدير الأغلبية النجاح المرجو أو المرموق".

واريد أن أشيرا لكلمة غزو الصحراء حيث وجدت في كثيرا من المراجع العلمية والأوساط الثقافية، ويهمننا في هذا الصدد الإشارة إلى أنه لا بد من تغيير المفاهيم الخاصة بإنماء الصحراء وكذلك بالمتطلبات اللازمة لهذا الإنماء. ولذلك وجدنا أنه لزاما علينا أن نغير من منطوق الكلمة إذا كان الهدف تغيير متطلبات مدلولها.

حيث تعنى كلمة غزو الصحراء والأصل (غ ز ا - والاسم الغزاة<sup>2</sup>) أن ما سيتم فيها هو استيطان غير شرعي بالجبر والقوة والإرغام، وأن الهدف من غزو المكان هو استنزاف الموارد والثروات الكامنة في الصحراء سواء كانت ثروات تعدينية أو زراعية على مصدر مائي محدود أو غيرها وتركها بمجرد انتهاء المخزون والمصدر. وفي الماضي أطلقت كلمة الفتوحات الإسلامية بدلا من غزوات لأن الهدف كان الأعمار في الأرض واستدامة هذا الأعمار ولذلك دامت واستمرت هذه الفتوحات والتي كان هدفها الأساسي هي نشر الدعوة. وعليه فإن المقصود والمدلول الفعلي للاتجاه نحو الصحراء هو إنماءها أو فتح الصحراء، والكلمة تعزز من مفهوم التنمية المستدامة والاستيطان المستهدف من التوجه للصحراء وأسلوب التعامل مع البيئة الصحراوية من منظور التعايش وليس الغزو هو الذي سيضمن هذه الاستدامة، وامكانية أعمار مصر المستقبل.

وعليه حتي يكون مفهوم فتح الصحراء منطقيا مع التفكير في التخطيط الإقليمي فإنه لا بد من طرح قضايا البيئة بمستوياتها المتدرجة والتي تعتبر المدخل المنطقي للتنمية المستدامة وعليه لا بد من دراسة تقويم الاستراتيجية البيئية ودراسات تقييم الاثر البيئي للمشروعات المقترحة. ويمكن تعريف "تقويم الاستراتيجية البيئية" (SEA) على أنه عملية للتقييم والتقويم البيئي الأولى

<sup>1</sup> - (أستاذ العمارة والتخطيط بالجامعة البريطانية بمصر، ورئيس قسم الهندسة المعمارية بجامعة المنصورة

سابقا)

<sup>2</sup> - المرجع من مختار الصحاح - باب الغين - ص 351.

للأهداف العامة للتنمية الخاصة بالمشروعات الكبرى في مراحل وضع السياسات والمخططات والبرامج الخاصة (PPPs) Policies, Plans and Programs بهذه المشروعات وذلك لضمان الجدوى البيئية لهذه السياسات والمخططات والبرامج<sup>ii</sup>. ونجد انه حتى يتم نوع من التنمية المستدامة والتكامل التنموي على المستوى القومي والإقليمي والمحلي لفتح الصحراء من المنظور البيئي لابد ان تتم مرحلة "تقويم للاستراتيجية البيئية Strategic Environmental Assessment" لتكون أولى خطوات تغيير المفهوم من غزو الصحراء للمدلول بفتح وإنماء الصحراء. ومن ثم وضع الأسس والمبادئ الأساسية للقيام بأعمار الصحراء والتنمية المستدامة وتعتبر مرحلة مبدئية لاتخاذ القرار، تكتمل بعمليات تقييم الأثر البيئي للمشروعات (Environmental Impact Assessment EIA) والتي تأتي في مراحل لاحقة وذلك لضمان تكامل المشروعات على مختلف مستوياتها واستدامة وتواصل التنمية المستهدفة.

ويجب أن نشير إلى العناصر الأربعة المعنية بالإشكالية البيئية المطروحة لفتح الصحراء وهي أولاً: السكان وما سيرتبط بهذا العنصر من قضايا مكانية ومياه وطاقة وغذاء وغيرها من المتطلبات. وثانياً: التقنية وما سيتضمنه من أسلوب إنتاج الغذاء والتخلص من المخلفات والصناعة والطاقة وغيرها من أساليب التعايش مع البيئة والتأثير فيها. وثالثاً: الاستهلاك وهي قدرة كل الأطراف في المشاركة في المنفعة من المصادر البيئية المتاحة وما يتضمن ذلك من موارد مائية وأراضى زراعية وثروات تعدينية وحتى الهواء نفسه. ورابعاً وأخيراً: الاستدامة والتواصل وهي القدرة على بناء أنظمة من استعمالات الأراضي واستغلال الثروات بما يسمح بالتوازن البيئي ودون استنزافها<sup>iii</sup>. وعليه فإن الهدف من تقييم الاستراتيجية البيئية هو محاولة لضمان استدامة التنمية المستهدفة وتواصلها وشمولية الدراسات لكافة جوانب إنماء الصحراء.

ومما لا شك فيه أن توافر المعلومات والدراسات المختلفة واستخدام صور الأقمار الصناعية ونظم المعلومات الجغرافية GIS هو المحور الرئيسي للتنمية المستدامة وحجر الزاوية لنجاح الهدف المفترض من "تقويم الاستراتيجية البيئية"، وذلك لمساندة صانعي القرار في اتخاذ القرارات الصائبة، وقد يتطلب ذلك أعاده ترتيب وتنظيم شامل لكافة المؤسسات والهيئات المعنية بهذه الدراسات، وكذلك استحداث وتوفير كافة القوانين والتشريعات المنظمة لهذه المجالات.

- 
- أ- حمدان، جمال : " شخصية مصر: دراسة عبقرية المكان " ، الجزء الأول، دار الهلال ، ص 274.-275
- <sup>2</sup> - Wood, C. "Environmental Impact Assessment: a Comparative Review", Longman Group Ltd., Harlow, Printed in Malaysia, First Published 1995, P. 266.
- 3 - Marsh, W. and Grossa, Jr., J.,: "Environmental Geography: Science, Land Use, and Earth Systems", John Wiley & Sons, Inc., USA, 1996, P 7.